صادحة الأزل

تأليف

الشيخ القطب مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري

المتوفى ١١٦٢هـ

تحقيقه وتخريج وتعليقه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ مَنَّ عَلَى قُلُوب العَارِفِينَ بِتَنَزُّلات سَبُوحِيَّة، وَاخْتَطَفَ عُقُولَ نَوَاسيتهم[1]، بِلوَامِع بُروقٍ رَوْحِيَّة، وَاسْتَبْقى حَقَائقَ لَوَاهِيَتِهِم، بجَوامع تَعيناتٍ صَمَدِيَّةٍ، وَرَقَى بِهِم إلى مَنَارة مَنَازِل عَرْشِيَّة، سَطَعَ سُلْطَانُ جَمَالهَا الأسْنَى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩].

وَنُصلِّي وَنُسَلِّمُ بِلِسَانِ الغَيْبِ الذَّاتِي، مِن مَنْبَعِ مَجْمَع بَحْري القِدَم، والحَدَثَان والوِجْدَان على نُقْطَة دَائِرةِ الطَّي، بالبِشْر الطيِّب النَّشْر بَيْنَ أهْلِ العِرْفَان.

مِيمُ المَبْدَأ والميعاد، والوَسَط العَالي بالذَّات، المُنقلب عَن الأَلِف، المُنْبَسِط إلى عالَمِ الأشْهَاد، الجَامِع الكلِّي بِمَرَاتِبِ الإصْدَار والإيرَادِ، حَاء حَق الحَمْدِ الرَّحْمَاني، فِي وَصْلَةِ حم، الشَّفِيع الأسْمَى، بِتَرْبِيعِ أدْوَارِ الأمْدَادِ، مِيْمُ مَلكُوت غَايَة التَّالي للمُقدَّم، دَالُ انتهاء تعين الأحَد الصَّمَد فِي العَدَدِ المُكْرَم.

وَعلَى آله وَصَحْبِهِ، وَشِيعته، وَحِزْبِهِ، مَا زخَرَ بَحْرُ الحقيقةِ، مِنْ آدم، شَفع، الوتر، وَفَجَّرَتْ يَنَابِيْعُ مَدِينَةِ العِلم بالذَاتِ، من بَابِها العَليِّ المُرْتَضَى، للقِيَامِ بعَالمِ الخَلْقِ والأمْر، دامت على الأصل الحقِيقِي والجَعْلي، فِي مَظْهَرِ الفَرْعَيْن الحسنَيْنِ، صَلَوَاتُ الله وَتَسْلِيماته، وتَحيَّاته، وبَرَكَاته.

---

(١) جمع ناسوت وهو: النشأة الإنسانية [الجسدية] (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي للدكتور رفيق العجم) قلت: والناسوت هيكل الإنسان أو جسمه المادي أو بدنه الحسي، عالم الملك: عالم الشهادة، العالم المحسوس: الظاهر من كل شيء.

أمَّا بَعْدُ، فَلَمَّا لَمع مَنْ تِلْقَاءِ شَجَرَة الوَادِي المُقدَّس، بَارق التَّوْحِيد، وَسَطَعَ لي مِنْ خلالِ أفْنَانِ سَرِحَة شَاطِىءِ البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ، نِيْرُ التَفْرِيْد، والتَاحَ قَلْبِي، مِنْ بِطْنَانِ العرشِ الإحَاطِي، سَبَحَات الجَمَال، وَارتاح سِرِّي، بِمُعايَنَةِ النُّور الأقْدس، من معاناة الصور والأشْكَال واستدارت على مناطق بواطن الوُجُود الذَّاتِي، فِي عَالم مَعَاهد الأسْمَاءِ، واستنارَتْ لذي دياجِي، غُيُوب الصِّفَات، مِن مَشَارِقِ مشَاهِد المسَمى، وَتَعَدَّلت في تَرْكيبِ كلمَاتِي، مِنْ حروف هجائِي، هَيَاكل الحَقِيقَة، وحُزْتُ لما حزتُ، مَا حزتُ فِي أمْرِهِ، مِمَّا وَرَاء عَالَمَي الأمْر والخَلِيْقَة.

وشَعْشَعَتْ لِي أنوار الاصْطِلام، لألأ المدام، وَرنَتْ بِي، وَمِني ألْسُن التَّغَنِّي، بِفُنونِ الأنْغَام، واستهلت مُزِّتي[١]، مِن فَيَضَانِ غَيْبِي اللَدُنِّي، فَكُلِّلَتْ تِيْجَانُ رَبَوَات المعَارِفِ، بأبْهَى دُرَرِ النِّظَام، وحيى مَفِيض، وَبلى، وَطلى من فَرْعِي وأصْلِي، بِتَنزلِ جَمَع شَمْلي، فِي أفْرادِ مِثْلي وَشَكْلِي، لما جَاءَ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام، ونُفِخَت لي أزاهِير جَنَّات إلَهيات، بِأعْطَرِ من أرجِ المِسْكِ والعَنْبَرِ، وَهَبَّت بِأعْطَرِ الأنْفَاسِ، وأنْفَس الأعْطَارِ، تَوَافِحُ الخُزامى[٢] والعَبْهرِ[٣].

قُلْتُ: مَا البارِق المضيء وَمَا نَفْحَةُ هذَا العَبِير فِي الجِناتِ.

قيل: سَلْمَى آتَتْكَ وَهِي ضَحُوك، للتداني.

فَقُلْتُ: طَابَتْ حَيَاتِي.

وبينا، أنا في جلاء كؤوس، واجتلاء عروس، وإسْفَار وَجْه حقيقة، طَالَمَا تبرقع، وميلهِ ميل عطف عطف، طالما تمتع، وهديرِ حمائم، وخرير غمائم، وجريان نمير، وسيلان غدير، ويم وزبرٍ[٤] في روض نضير، تسيبُ لي رياح المسرات بأفانيها، وتلحن لي حمائم الأفراح بأغاريبها ـ فما شئت من زهر وخمر وشادن ـ تغني فينجلي الخُزْنُ الحِسِّيُّ.

---

(١) المُزَّة: الخمر اللذيذ الطعم (العين للفراهيدي).
(٢) الخُزَامى: نبت طيّب الريح (لسان العرب).
(٣) العَبْهَر: اسم للنرجس ويقال للياسمين (العين للفراهيدي).
(٤) الأبر: القوي الشديد (لسان العرب).

أسْمع المَزْمُور من المُزْمَارِ، وأتلقَّى الإشعاعَ من الأوتَارِ، وَأسْتَمْلي المبْتَدأ مِنَ الخَبَرِ، وَأسْتجلي العَينَ من الأثَرِ، وَأسْترق مَنَاظِرَ العِرْفَانِ، عَرَائِسَ الحكم، وأسْتَشِفّ مِن سَتَائِرِ الحدثَانِ، سَرَائر القِدَم، وإذا بِي:

أَسْمَعُ هَاتِفاً مِن جَمِيع جِهَاتي.

وَمُنَادِياً، حَلَّ مِنِّي مَحَلَّ ذَاتِي.

يَقُول:

يَا جَليسَ هَذِهِ الرِّيَاضِ..

وَأنِيسَ هَذِهِ الغِيَاض..

والمتمتع بهذه المُخَالساتِ..

فِي هَذِهِ المُجَالَسَات..

مِمَّا تَقْصُر عَنْهُ المُقَايَسَات..

مِن مَحَاسِنِ المُقَابَسَات.

وَتُرْجمان لسان الأزَل، والأَبد

وَمعبر آيات الصَّمد، الأحَد.

هَلْ أحَطْتَ بِمَنْ اخطت فَوْقَ رُوَاق المَلَكُوت..

مَرَاتِب الجَلاَل..

وَزُيِّن عَالم المثال..

بَلْ عَيْن عَيْبِ الأحْوَال..

بَل ظَهر فِي، لا فِيَّ، حَيْثُ انْقَطَعَ الاتِّصَال.

بَلْ أتَمَّ، ثُمَّ، وِحْدَة التَّجَلي.

بَلْ هِيَ عَلَى مَا هِي، فِي قُدْسِ الكَمَال.

قُلْتُ:

اللّهُ أكْبَر، إنَّ هَذَا لَهُو القَصَصَ الحَق، هَذَا ملك، أسْتَغْفرُ الله، هَذَا وَرَاء عَالِم الخَلْقِ، هَذَا دَهْشَة الألْبَاب، هَذَا حيرةُ الطلاب، هَذَا كنْزُ الله المُطَلْسَم، هَذَا بَيْتُهُ المكَرَّم، هَذَا سرُّ السّرَائِر، هَذَا النّور السَّافِر، هَذَا مَغْنَاطِيسُ التَّقْديس، هَذَا نَفْسُ الوُجود النَّفِيس، أيْنَ يُطْلَبُ؟، أَمْ هُو لاَ يَتَأيّن، كَيْفَ يَظْهَرُ؟، أَمْ يَتَعَيّن أنْ لاَ يَتَعَيّن.

مَا عَهِدنَا طَائِر أفْنَان الجِنَان، يَتَرَنَّمُ بِغَيْرِ مَدَائِحِهِ، بَلْ مَا سَمِعْنَا أن سَوَابِغ أغْصَانِ العِرْفَان، تسجَعُ بِسوى صُنوفِ مَنَائِحِهِ:

إنْ لَمَعَ، فَمَا البَرْقُ.

أوْ هَمَعَ[١]، فَمَا الوَرِقُ.

أوْ بَطن، فَمَا سِرُّ السَّرِيْرة.

أوْ ظَهر، فَمَا شَمْسُ الظهِيْرة.

أوْ تَكَلَّم، فَمَا الدُّرَرُ.

أوْ هينم[٢]، فَمَا الوَتَرُ.

فَمَا هُوَ إلاَّ أنْ وَسَمْتُه بِمَا ذَكَرْتُ، وَوَصَفْتُهُ بِمَا سَطَّرتُ، إذَا بالفطمطم الفَيَّاض مِنْ كُهوف العَظَمُوتِ، تَضْطَرِبُ أمْوَاجُهُ، والخَمِيسُ اللهام من جيوش العز، تَتَابعُ أفْوَاجهُ، وَعَجَائِب المَلَكُوت تَنسَاب انسياب الصلِّ[٣]، وَأرْفَعَةُ الملك تُطوى طَيَّ السِّجِلِّ، وبَوَارِق سبَحَات القيُّوم، تَخفِقُ وتَلوحُ، وَأَمْلاك الأفْلاك، تقول:

سُبُّوح، قُدُّوس، رَبُّ المَلاَئِكَة والرُّوح، وحُمَّ سَحَاب الكتم[٤]، فَتَصَبَّبَ بِغَيُّوث الذِّكر، عرقاً، وحُم الأمْرُ، وجَاءَ الحَقُّ، وآن اللقَاءُ، ثُم برزت بتعين التدلِّي..

فِي مشارق التجلِّي..

صورة تخجل البدور في الأسْفَارِ.

وتبدو لعياني كشفاً بغير استتارٍ.

تدخل أنباؤها القلوب منَ الآذانِ، بِلا اسْتِئْذَان.

وتهتف بأوْصَافِهَا أوْتَارُ العِيْدَان، وَحَمَائمُ الأغْصَان.

طلعت، وَلكِنْ بدراً..

---

(١) هَمَعَ: الهَمُوع بفتح الهاء السائل وبالضم السيلان، وقد هَمَعَتْ عينه أي دمعت.. وكذا الطَّل إذا سقط على الشجر ثم سال قيل: همع، وسحاب همع أي ماطر. (مختار الصحاح للرازي).

(٢) هينم: تكلم بصوت خفي، الهيمنة: الصوت الخفي، والهينوم: كلام لا يفهم. (القاموس المحيط).

(٣) الصل: صَلَّ يصلُّ صليلاً: صوَّت. (لسان العرب).

(٤) الكتم: سحاب مكتوم: لا رعد فيه (لسان العرب).

وفاضت، وَلكِنْ زهراً..

وبسمت، فما الحَبَابُ، غير أنَّ الريق سلاف

وخطرت، وَلكن وَقَعَ الاتِّفَاقُ، عَلَى غَيْرةِ أغْصَان الخِلاَف.

أرْدَافها تُخْجِل البُدور جَمَالاً.

وَتزري بالغصُونِ هزَّةً واعْتِدالاً.

تَنْفُخ لطائِمُ المسكِ مِنْ أردَانِهَا.

وتأخذ النفوس بلطائف معانيها. وبدائع بانها.

قلتُ:

خَلَّدَ الله إشْرَاق شمس الجَمال..

بقاؤك وسلْطَنةُ الجَلاَلِ، بِارْتِقَائِكِ.

مَنْ أنْتِ؟..

حتى أُطابق صورة المعرفة، بحقيقة الصفة، وحقيقة الصفة بباطن المعرفة، فلقد بهرني منك، ما لو تجلي على العقول، وكانت المخلوقات كلها عقولا، لم يدع منها سلطانه عُقُولاً ولأقام فيها أشْوَاق الأشْوَاق، كأنَّمَا سَقَاهَا شُمولاً.

ولَوْلاَك، راسلْتُ قلبِي بلطائف المؤانَسَةِ.

ولولاك، وانست سري بظرائف المطايبة في المجالسة، لتمزق أديمه، وذات بلسع الهوى سليمة.

قالت:

ومثلك يسأل عني!! وقعت والله في التعني، أما كفاك أن ترى، حتى ترى مستخبراً، ماذا تريد؟، بعدما صرت لحسني مبصراً، إنما كان حقك السكون والسكوت، والرغبة في المحو بالثبوت، والاسترسال مع ما يأتيك مني، والفناء بجمالي عَنْكَ، أو بِغَرَامِكَ عَنِّي، ولَكِن..

- أنَا الحاكمة الكُبْرَى.
- أنَا مالكة زمام الدُّنيا والآخِرَةِ.
- أنَا ريحانة رياض الألوهية، وحمامة أفْنَانِ الصمديَّة.
- أنَا لطيفة اللطائف، ومعرفة النكرات، ونكرة المعارف.

● أنَا الممدة، فلا ينتهي فيضاني، والقائلة، فلا يكل لساني.

● أنَا بحبوحة العرض الإنساني، وفذلكة التعين الرحماني.

● أنا هاتفة غصن: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]، وكاشفة: وهو الآن على ما عليه كان.

● أنا بارقة: كنه الأمر في الخلق، وشارقة شمس أنوار الحق، من مشارق الأكوان.

● أنا نفثة صدد الأزل، وبَثَّة ضَمِيرِهِ. وحدقةُ نُور القِدم ومشكاةُ ظهورِهِ.

● أنا رسول الشريعة الذاتية، وحامل أمَانة الحضرة الفردانية.

● أنا السرير المصون بالأنوار، والغيب المكنون في الأسرار.

● أنا فاتقة الأرتاق، بلطائف سبوحيتي، وسابقة السباق، بحقائق أحديتي، بل بدايتي غاية أغراض المتواجهين إلى حضرتي.

● أنا ميم الملكوت، وهاء هوية العظموت، وتاء تمام حروف اللاهوت وكلتا يديه عين في إشارات الناسوت، وميم الملك. ونور بحار الفلك، بها فلك.

● فأنا المهيمن الأكبر، والمحيط الأبهر

كما، كم دارة جمال، سطع فيها سلطاني

وهالة جمال، بهر منها شاني

وحقيقة مقدسة، قامت بتنزلاتي

وصورة مكرمة، بهرت بتمثلاتي

ومظهر وجداني، تعين بإشراقي

وظهور فرداني، أخذت عليه ميثاقي

وفيض صمداني، أمده كوثري

وشهود عيني، غيبي، انطبع بمرآة بصري

وروض فتحت يَدُ وتريتي، أزهار شفعة

وَاغْرَوْرَقَتْ أحداقُ حَدَائِقِهِ، بها طل مَدَدِي، وهمعة

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

وَجَنة، قصرَت مَقَاصيرها[١]، على فرَائد حِسَانِي
وجليت بقصورها، عَرَائس حوري وولداني
ولطف معنوي، سكرت فيه أنْفَاسِي
وكلمة درية، نظمهَا سلكِي
وحكم دخل، رقيقها ملكي
وبيت معمور بسريان سري
وأفق مشرق، يلألىء بدري

الله أكبر، حارت في الأذهان والفكر، وحارت عن إدراك كنهي، القوى والقدر، وسجدت جباه المعارف لبرزتي، وشهدت أعداد التعينات بوحدتي.

إذ هبطتُ، قال البهموت: أنا الأثير الأصعد، أو علوت، قال الأثيرُ: أنا البهموت الأبعد جهاتي واحدة بالنوع، مختلِفة الشخص، وطاعة الوجود لأمري فوق العنان، للوكف[٢] والبنان المكف، والمستدل للنص، والظل للشخص، أرْسِمُ حتى تتقاصر عني الحد المطلوب، وأقضي فأوجب السلب، وأسلب الوجوب. شعر:

وأرى الناس مجمعين على فضلي ... ما بين طارق وتليدِ
عرف العارفون نوري بالكشف ... وأهل الأهواء بالتقليدِ
أنا تقويم عالم الخلق والأمر ... وسر التعديد والتوحيدِ
أنا من تنطق الحقائق عني ... بلسان التقديس والتمجيدِ
أنا سلكٌ به داري المعاني ... في انتظام كلؤلؤ منضدِ
ورفت سرحتي بأوفر ظل ... صمودي على الورى ممدودِ
ورقت همتي وراقت لقومي ... وأدارت بحوضي المورودِ
وتعالى بأحمد الخلق قدري ... لمقام مقدس محمودِ
وتجلت شمسي على طور نفسي ... جمال شهدته في وجودي
هو أصل وفرع أصل ولكن ... بسقت لي به غصون الجدودي

(١) المقاصير: جمع مقصورة وهي الدار الواسعة (لسان العرب).

(٢) الوكف: القَطر، وكف الماء يكف وكفاً/ ووكف البيت مثل الجناح يكون عليه الكنيف/ والوكف: النِّطع/ والوكف: العيب. (والنِّطع: بساط من الأديم) (لسان العرب).

الله أكبر، ما من علم إلا وأنا ممدة رواته، وحامل راياته، ومبدأ فيوضاته، ونهاية غاياته، وإن أردت أنْ تأخُذَ عَنِّي، فَسَل مِني.

قُلْتُ:

قضى يعقوب حوجاه، وبلغ السيل رباه، وتقاذفت درر البحر بسيفه، وقطع الظفر عنق العوائق بسيفه، شعر:

من لي بمن يخبر الأنَام بما ... بلعنيه القضاء والقدر
أصبح قلبي لفرط وصلته ... بيت شهود تتلى به السور

يا له من نعمة!، تستقل عندها عظمة أرباب التيجان، ويقصر عن مبادي شُكرها، الملوان، ويحدث عنها بلسان الأبدية، الأطيان، ويستضيء بنورها من مشارق الأزلية، القمران، ويتعمر من فيوضاتها الصمدية، العُمران.

من أيْن أنْ تبرِز دُمية فَخْر الأزَل؟، تتبختر في غلائل الغزل، ناشرة علي لآلىء شُهودها، ناثرة لديَّ لآلي عُقودها، تبعث وهي الحليمة، ما يبعث بعقلي من شُمُول كلامها، وتدبر على ما بجمع، تفرقة قلبي، عن غير ربي كؤوس مدامها.

بَيْدَ أنَّهَا الغَيْبُ، وإن شقت الجيب، واليقين، وإن حصل فيها لأهل الأهواء الريب، والنور، وإن دجا ليل أسْرارها، والمجرد، وإن المزيد من آثارِهَا، عجب من عجائب البر والبحر، ونوع فرد، وشكل غريب.

كم كامل أرسل في تأملها، جواد فكر، فَكَرَّ على عقبيه راجعاً، وعارف بالأصل وفروعه، فزعه عزها فظل في مجاهل الحيرة هالعاً، وفيلسوف ظن ما ظن على مصغية عقله نباهاً، فنبا حُسام نَظره وما قطع، ومتطاول إلى الأوج يقتحم العقاب مع الفوج، زلّ عنها قدمه ـ قدم إقدامه فوقع.

هي أمر الله، ولكن أسجد لتجلياته الجباه، وسره، ولكن أودعه من اصْطفَاه، ونور المشرق من مشكاة الصور، وروحه الساري في مساري الفطر، وفريدة حضرته، المؤتمرة على مملكة الوجوب والإمكان، تقوم لهذه بالبرهان، وفي هذه بالعيان، تترامى إليها قلاص الأشباح من كل فج عميق، وتطوف أشخاص الحدوث بيتها العتيق، مخطوبة القبليات النورانية، وعروس منصات الفاعليات الربانية، جلت أن تكتنهها عقول، عقلها الوهم، وعزت أن تحيط بها نفوس، حصرها الفهم، وتقدست عن وفاء المثل بحقيقتها، وتنزهت عن قيام الأوضاع بحق قوميتها.

هي بحر، ولكن ضاق نطاق الأقطار عن فيضانه، ونهر، شق جيوب القلوب، وملأ أودية الغيوب بنورانه، وروض، ولكن عطر، فعطل أنفاس الحور في الجنان، والعرف الساري في الرفارف، والعبقري الحسان.

ولقد ظننت ـ وأستغفر الله لهذه الحضرة من تطرق الظن إليها ـ كيف وهي لو تصور اليقين ما زاد عليها! ، إن بارقة من سواقط ذلك الروض لا يقصد شميمها، ولا يتنسم نسيمها، لو نفحت على أناف من عقدوا أنف الأنفة على السها وأصبحوا وإلى أعْتابهم المنتهى، لتركتهم سكارى، وغادرتهم حيارى.

فما الظنُّ:

بزهرات صينت عن النواظر، في المناظرِ..

وأعدت لأكابر الأعيان، وأعيان الأكابرِ.

من كل نافحة هي هيولى نوافح الأعطار..

ورائمة آتية بالعبير في كافة البلاد والأفكارِ.

منزهة عن التماس الطالبين..

ومقدسة عن اسْتِلام الراغبين.

إنما يشتَمُّها مَنْ منَّ التعين الذاتي به عليه، وصار لا دال ولا مدلول، إلا وهو منه وإليه، وحدانِيُ الجَمْع، بل هو على هويتِهِ، مُحَال بَلْ مُحَال..

كَيْف!..

والجمع لسان التثنية التي تقدس عنها الواحد، وإنْ تعددت الأشكال، على أن ذلك الروض، ما نسجت بروده، غير أنامل غمائم الغيب، ولا فرقت مطارفه، غير أيادي نسائم شققت عن الكمائم الجيب، ترمقه العيون، فكل باصرة ترى على مقدار جلائها، وتلحظه اللواحظ، فكل تشبهه على حسب صفاتها، وعلى وزان نظرها، تستعيد وصفاً، وعلى نسبة ملاحظتها تستفيد كشفاً.

وربما كان الناظر بما استفاد منها وتلقاه عنها إليها بها ناظراً، ولعينها بعينها باصراً، فيتفاعلان بألطف من المدام بالمزاج، حتى كأنهما واحد في المزاج. ولن يزال ذلك يزداد، ويزدان، حتى يصير القابل فاعلاً حكيماً، تنفعل به كافة الأعْيان، من كل مستعد للروح، وسريانها، متهيىء لأسْرَار النفس الرحماني في فيضانها، وقابلاً لاجتلاء ذاك الجمال، واجتناء ثمرات الوصال، ومترشح لاشْتِمَام ذَاك النفس الذي نفخ، ومتوشح باشتمال برود المواهب والمنح.

لكن، لا تنزل من غمائم المواهب قطرة مدد، إلا بإذْن وارد من قابوس الحضرة، وافد من لدن الأمر الإلهي لأهل الجمع، الذين لهم بالفرق بين الواردات أتم خبرة، ثم ذلك الإذن على أقسام:

ـ الواقع أولياً في الغالب لمة ملكية بالقلب النوراني، تنفث في الروع الإنساني.

ـ وثانياً سماع هاتف في وجوده، أو لوجوده منه له يكلم، وعليه يهيتم ويترجم.

ـ وثالثاً المرتبة الكبرى التي هي بالتقدم أحرى، وإليها تنتهي همم الرجال، وهي سدرة منتهى إجمال الأحوال، وذلك أن لا يتقيد العارف بصورة في الإذن خاصة، وربما كان ينطق بعض الكائنات، ولو من أعْضائه، وربما سمع من جهة، وربما من جميع الجهات ـ على حسب ارتقائه ـ وربما كان ذلك بمشافهة بعض الملائكة الكرام، والتلاقي مع تعينات بعض المرسلين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وربما كان يثلج صدره، ويشرح قلبه، ويفسح سره.

وحاصل الأمر، أنه يُخلق له بالإذن الإلهي، علم ضروري لا تنضبط أسبابه، لأنه العارف الذي اتسع للتنزل الرحماني وانفهق بينه وبين الله بابه. بل ربما أخذ هذا الإنسان شبهة بينة عن الأكوان، ورقدة حسية عن الأعيان، فلا يشعر إلا وقد أشرق النور، وارتفعت الستور، وأذهَبَ سلطان الصباح عساكر الديجور، ومزقت الغواشي، وقضى ناموس العظمة على الأغْيان بالتلاشي، واهْتَزَّ عَرْشُ الإنسانية ثم انْقَضَتْ دعائمه، ثم انقضت مراسمه، حتى لم يبقَ من الإنسان إلا ما كان يوم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: ٢٩] أو حكم «**خلق آدم على صورة الرحمٰن**»، ثم ينصب عرش الجبروت، ويحضر خدام العظموت، وتضطرب بحارُ الجلال وتتلاطم أمْواج المعية الشبحانية بعزة الملك المتعالي ويتجلى الله سبحانه وتعالى عن المثال، ويسمع به عبده منه الإذن الصريح، ويظهر له الشأن العظيم الشان ويتيه، فإذا أفاقَ لم تفارقه صبغة ذلك النور، بل يبقى معه لوائح البطون في الظهور.

ولنرجع إلى ما سبقت له هذه الرسالة، وغلقت لمراسمه هذه الدلالة، وذلك إجَابة رسول صون العلوم الإنسانية عن مسألة، تدلت له في حقائق ما بطن منها، رفاف العبارة عنها، فيفيق بأمر الله في خلق الله حاكماً، وبأسرار شريعة مورثه ﷺ عالماً حاكماً مبنياً على قواعد التجلي الذاتي أساسه، وعلماً مشرقاً بنور الاختصاص

الصمداني نبراسه، سالماً بالله تعالى من شوائب الابتداع، فإن الله تعالى جعل الميزان الأعظم لكل عارف، وما سواها بالنسبة إلى حقيقة هداها، إنما هو لوامع الزخارف، والمتجلي بالله تعالى، منغمس في بحار الجمع، فالله سبحانه وتعالى له البصر والسمع، كما شهد به الحديث[1]، ودل به القديم على الحديث.

وإلى الله يرجع الأمر كله مجمله ومفصله، وصلى الله على من تحقق بالنور الأعظم، في أشرف منزلة، فكان يمشي ولا ظل له، محمد، وآله وأصحابه، آمين.

تمت بحمد الله

(١) والحديث هو كما رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (٦١٣٦) [٥/ ٢٣٨٤] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».